

بيان سبب ارتداد الناس بعد إيمانهم وأنواع الفتن التي تصيبهم

وقال تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ } إلى قوله: { ذَلِكَ يَأْتُهُمْ اسْتَحْيُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } . فإذا قال هؤلاء بالسنن نشهد أن هذا دين الله رسوله، ونشهد أن المخالف له باطل، وأنه شرك بالله؛ غير هذا الكلام ضعيف البصيرة. وأعظم من هذا وأعظم أن أهل حريماء ومن وراءهم يصرحون بمسبة الدين، وأن الحق ما عليه أكثر الناس يستدلون بالكثرة على حسن ما هم فيه من الدين، ويقولون ما هو من أكبر الردة وأفحشها، فإذا قالوا: التوحيد حق والشرك باطل وأيضاً لم يحدثوا في بلدتهم أوثاناً جادل الملحد عنهم، وقال: إنهم يقررون أن هذا شرك، وأن التوحيد هو الحق، ولا يضرهم عندهم ما هم عليه من السب لدين الله، وبغي العوج له، ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان. نقول: يعني من الآيات التي استدل بها يقول: قول الله تعالى: { مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ } دل على أنه قد آمن، ثم بعد ذلك كفر، ما سبب كفره بعد إيمانه؟ إما حفاظاً على منصب؛ فزین الكفر للناس وهو يعلم أنه شرك، وإما حفاظاً على رتبة، وإما حفاظاً على مصالح دنيوية. وقد ذكر الله أن كثيراً من العرب يدخلون في الإسلام دخولاً مؤقتاً، ثم بعد ذلك يرجعون؛ وذلك إذا لم يناسبهم، أو أصيبوا مثلاً بابتلاء أو نحو ذلك؛ ولهذا قال تعالى: { أَخَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } ؛ يعني لا يتربكون بل لا بد من الابتلاء والفتنة، فإذا صبروا على هذه الفتنة، فإن الله تعالى يثبتهم. وإذا رجعوا إلى الكفر دل ذلك على عدم اطمئنان قلوبهم بالإيمان؛ قال تعالى في سورة الحج -قيل: إنها مكية وقيل: إنها مدنية- { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ حَيْزٌ أَطْمَانَ يَهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةً أَفْلَقَتْ عَلَى وَجْهِهِ } يعبد الله عبادة ليست مستقرة؛ إذا وسع الله عليه وجاءه الدنيا وفتح عليه مصالح دنيوية؛ ثبت. وإذا ابتنى بمصالح أو بافات أو بمرض أو بغيره؛ رجع { أَفْلَقَتْ عَلَى وَجْهِهِ } وأخذ يسب الدين، ويقول: ما حصلنا من هذا الدين إلا على فقر وفاقة، وهذا بلا شك من الكفر، أو من علامات الكفر أو من النفاق. وقال تعالى في سورة العنكبوت، وهي من آخر ما نزل بمكة { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ حَقَلَ فِتْنَةً النَّاسُ كَعَدَابِ اللَّهِ } يقول: آمنا، وإذا افتن خاف من الناس كخوفه من عذاب الله، فيعطي الناس ما طلبوا؛ إذا آذاه المشركون خاف من آذهم ولهم طلبهم وأعطاهم ما يتمنون، مثل خوفه من عذاب الله. "آلية الثانية" في سورة النحل: { ذَلِكَ يَأْتُهُمْ اسْتَحْيُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ } يدخل في ذلك هؤلاء الذين يقدمون المصلحة الدنيوية على العبادات الدينية، فيقولون مثل ما ذكرنا: إننا الآن محترمون والناس يحترموننا ويتربكون بما ولنا شهرة ولنا شعبية، وإذا وافقنا هؤلاء الوهابيين -وافتقارهم- فمعنى ذلك أنه سقط فدرنا؛ لأن هذه الجماهير يبغضون الوهابيين، ويقولون: إنهم يبغضون الحق وأنهما وأنهم.. فنحن نوافق الجماهير. كثير من الدول عندهم هذه الشريكات إذا جاءهم بعض المعظمين عندهم الذين يقررونهم، رفعوا شأنه كما يذكر أن ابن علوى مرة أو مراراً إذا جاء إلى دولة إندونيسيا -لأنهم كثيرون في مكة- يحترمونه ويعظمونه؛ فاشتهر عندهم، فإذا جاءه يدفعه ويدفع أمثاله إلى أن يقررهم على التوسل بالصالحين ودعاء الأموات وما أشبه ذلك، فهو مثلاً يعرف الحق، وقد قرأ هذه الكتب، فهو لاءٌ لله بالعبادة، وأن ما خالفه فهو باطل، وأنه شرك بالله. "يقولون نشهد أن هذا دين الله رسوله، ونشهد أن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وأن ما خالفه فهو باطل، وأنه شرك بالله." يقولون هذا بالسنن؛ فيفتر بهذا الكلام ضعيف البصيرة، ولكن يفسدون هذا القول بأفعالهم" فيقولون: نعم. إنه لا مانع من التبرك بالصالحين والصلة عند القبور والسفر إليها. في زمن المؤلف أهل بلدة حريماء عندهم أنواع من الشركات، ولما أن الإمام محمد بن سعود رحمه الله أسس الدعوة في الدرعية ما بينها وبين حريماء إلا نحو ثمانين كيلو؛ فامتنعوا أن يدخلوا تحت ولايته، وامتنعوا أيضاً أن يقرروا بالدين الذي دعا إليه الشيخ محمد مع أن آباء كان قاضياً عندهم؛ ولكن أبغضوا؛ أي الولاية وصاروا يسيرون هذا الدين. يقول: أعظم من هذا وأعظم أن أهل حريماء ومن وراءهم يصرحون بمسبة الدين؛ يعني بمسبة هذا التوحيد، ويقولون إن الحق ما عليه أكثر الناس: يقولون كيف يكون أهل الدرعية هم أهل التوحيد وبقية البلاد ليسوا على توحيد بل على شرك فيقولون أو يخدعون بالكثرة؛ يستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه ما هم فيه من الدين، ومعلوم أن الكثرة ليست دليلاً على الصواب الله تعالى يقول: { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضَ بِمُؤْمِنِينَ } { وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ } { وَلَقَدْ ضَدَّ عَلَيْهِمْ إِلَيْسُ طَنَّةٌ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيبًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } . فليست الكثرة دليلاً على الصواب؛ فهو لاءٌ يستدلون بالكثرة على حسن ما هم فيه من الدين؛ أي من الدين. ويقولون ويقولون ما هو أكبر من الردة وأفحش منها، ما هو أكبر الردة وأفحشها؛ يقولون: إن هؤلاء خوارج مثلاً أو أنهم مخالفون لجمهور الناس، أو أن الناس الأكثرية هم المصيبيون، ويستدلون بالأثر الذي يقال فيه: ما رأاه الناس حسناً فهو عند الله حسن وأشباه ذلك. ولا شك أن هذا من إقرار الشرك، يقولون: إذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل، ولكن ليس دعاء الأموات شركاً، بل هو توحيد؛ لأنهم يقولون: إن التوحيد هو المعرفة، ولا يضر كوننا ندعوا فلاناً أو فلاناً مع الله، وليس هذا بشرك، وأيضاً لم يحدثوا في بلادهم أوثاناً فيجادل الملحد عنها يقول: أتتم تقولون إن هؤلاء مشركون وهم مع ذلك يقولون: إن التوحيد حق وإن الشرك باطل، وليس في بلادهم أوثاناً ما نصيباً أصناماً يعبدونها، فكيف تقولون إنهم مشركون، هذه شبهتهم. ولا شك أن هذه الشبهة شبهة باطلة، وأن الواجب أننا نحذرهم ونحذر منهم؛ كل من سب الدين وسبحقيقة التوحيد، فلا ينفعه قوله: إن التوحيد حق وإن الشرك باطل؛ لأن من سب الدين فقد سب أهل الدين، ومن سب أهل الدين فقد سب الدين. فإذا قال مثلاً: إنهم يقررون أن عبادة الأوثان شرك، وأن دعاء الأموات شرك وأن التوحيد هو الحق، لا يضرهم عندهما ما هم عليه من السب لدين الله وبغي العوج له ومدح الشرك وذبهم؛ أي وذبهم دونه بالمال واليد واللسان، كأنه يقول: إن هناك كثير من الناس، يقولون: لا تسبوا هؤلاء كأهل حريماء لا تسبوهم فإنهم يقررون أن عبادة الأموات شرك، ويقررون أن التوحيد حق، هذا المجادل ما يضرهم ما هم عليه من السب، يقول: لا يضرهم سبهم لكم. الجواب: إنهم ما سبوا ولكن سبوا ديننا، وسبوا التوحيد الذي نحن ندعوه إليه، فكيف لا يضرهم ما عليه من السب لدين الله، لا شك أنه يضرهم؛ لأن من سب أهل الدين فقد سب الدين من سب الموحدين فقد سب التوحيد. وكذلك مدحهم للشرك أو للمشركيين في البلاد الأخرى، وذبهم دونه بالمال واليد واللسان، لا شك أن هذا كله يضرهم.